شعر



للذي لم أكنه

أشرف العبد

لِلَذِي لَمْ أَكُنْهُ

شِعــْر

أشرف العبد

إِهداء

إلى "مها الشايب"

رِقِيقَةٌ كَسِربٍ فَراشَاتٍ...كَانَتْ

ووحِيدةٌ كَقَمرٍ حزِينِ

وعِنْدما واعدتُها بساتِين الْضِياءِ

لَم تَنْتَظِرنَا

كَي نُودعَ أيامها

وبقْسوةٍ لم تَكُن أَبدا لَها

غافلتنا

وحلقَتْ في البعيدِ

" لك الْمجد

أَيها الأَلَم النَبِيلُ

فَانْشُر ضِياءكَ فِي دَمِي المسفُوحِ

وأنزِلْ سكينَتَكَ الطرية فَوقَ جرحِي

كَي يبوحَ "

فهرس

خُطُوَاتٌ أُوْلَى.......

بكائيةٌ للذي لم أكُنْه

أنا لم أكُنْكَ

فأنْتَ الفَضاء الذي لم أرَه

وأنْتَ السحابةُ لم أرتَشِفْها

أُوزع بينَ جميعِ المرايا فَلا أستَبِين

وفي كل أرضٍ فَلا أكْتَمِل

وأنْتَ تَموتُ لأنَكَ لا تَستَطِيع انْكِسارًا

وتَحيا لأنَ عيونَ الحبيبةِ لا تَنْكَسِر

أموتُ لأني عشِقْتُ الرَحِيلَ

وأحيا لأنَ انْتِظَارَ السفَر

عذَابٌ يدثر بالأُمنية

أُحبكَ طَيرا طَلِيقًا بِقَلْبِي

فَلا تَرتَحِلْ

عيون الموانِئ لم تَنْتَظِرْكَ

وحلْم العجائِز صار احتِرَاقًا لِكُل المسالِكِ

صفِير القِطَار الأَخِير انْطَلَق

وَكُلُ النَوافِذِ صارَتْ رَصاصا

يفَتِشُ أَينَ تَكُون الْماء

لِماذَا انْحنَيتَ

وَأَينَ انْطِلاقُ الحقُول النَدِيةِ فِي وَجنَتَيكَ

لماذا تعبتَ

وكُل الدروبِ استَحالَتْ جروحا

فهلْ أَنْتَ وهم

أَم أني عمِيتُ فَلا أحتَويكَ

قُتِلْتُ فَلا أَستَطِيع التَأرجح بينَ الشُموسِ

سكِرتُ فَلا أَستَطِيع التَحقُقَ مِن ملْمحِكَ

تَدور الرَحايا بِقَلْبِي الذِي

تَساقَطَ نَبضًا

لأنَ جمِيعِ المدَائِن قَد شرَدتْه

فَصارَ اِحتِرَاقًا

وَصارَ اِشْتِياقًا لِكُل الْعذَارَى

وَكُل السِكَك

وَأَنتِ الملاذُ البعِيدِ البعِيدِ

أأُسقُطُ قَبلَ الوصول إِلَيك

أأُسقُطُ قَبلَ الْتَساقُطِ فِيكَ

وَلا أَكْتَمِل

أنَا لَم أَكُنْكَ

وَلَكِن أَكُون

لأنَكَ طَيرٌ طَلِيقٌ بِقَلْبِي

وَلَن تَرتَحِلْ

١٩٨٦

يوميةُ الوجهِ الغَائِبِ

هَأنذَا أبحثُ عن ظِلِكِ

عن شَيءٍ يتَسمى بِاسمِكِ

الشَمس تَغُوص بِأعماقِي

فأذوب

أنْحلُ رياحا ماسورَة

فِي كهفٍ أبدي الظُلْمة

تَنْسكِب الشَمس على ظِلي

فَتَصِير شُعاعا يتَلوَى

أُلْقُمه الكَلِماتِ.. الأشْياءَ

لَكِن يأكُلُنِي

يحكِي لِي صوتُكِ
وأنَا أتماوَج فِي الطُرقَاتِ
عن سرِ الشُطآن الفَضِيةِ
يسحب مِن قَلْبِي نَبضاتِه
تَغْدو لُؤْلُؤَةً غَجرِية
تَرقُص...تَنْطِقُ
تَفْضح سِرَّ الأثْمارِ العالِقةِ بِحضنِ النُورِ
يتَحوَلُ صوتُكِ موسِيقَى
تُعلِن شَهوتَها لِلْرقْصِ
وهِيَ تَدور تَدور تَدور
وأنَا أسقُطُ أسقُطُ أسقُطُ
وأُجنُ

فِي نَومِي

يستَلْقِي طَيفُكِ فِي فَرشِي

يسألُنِي أن أُوسِعَ لَه

يوقِظُنِي حِينَ يدقُ البابَ

وحِينَ أنَام

يصنَع لِي حلْما

فَأرَى سحبا تُمطِر أمطَارا حمرَاءَ

أستَيقِظُ

أشْعر أنَ القَلْبَ يجِف

أستَطْلِع وَجهكَ فِي الأنْداءِ يرَاوغُنِي

يصحبِني دَوما فِي الأسفَار

يتخَفَى حِينًا فِي الأشْياءِ المنْسِيةِ

يمتَد مواتًا فِي عمرِي

ويزَاحِمنِي فِي اللحظَاتِ

أبحثُ عن ظلكِ

عن شيءٍ يتَسمى بِاسمِكِ

فمتى تُعلن أنَ وجودا لك

أو اسما أو قَسماتِ

١٩٨٦

تكرارية

كانَتْ تَجاويفُ الصباحِ

تَشدنِي نحو النُعاسِ

بينَما الأملُ المراوغُ

يستَبِين ويخْتَفِي

وأنَا أحلقُ فِي المدَى

ثُم أهوِي في اِنْكِساراتِ الملَل

أتسلى بالحِكاياتِ المعادةِ

وأُعِيد تَرتِيبَ الحقَائِقِ

من ينْتَظِر: هلْ أنْتِ أم هذِي الشُموس

فَي المساءِ

ألْقَيتُ نفْسِي بينَ أموَاجِ التسكعِ

واجهتُ كل الوَاجِهاتِ

وابتَعتُ بِالعمرِ المؤجل لَحظَتَينِ مِنَ التَحقرِ

ثُمَ عاودتُ التَشَبثَ بالعيون

لكِنها لَم تَحتَمِلْ

ما فِي عيونِي مِن شَبق

لَم تَكُن كلُ الأمانِي مستَحِيلَة

لكِنَنِي

كُنْتُ قَد أدمنْتُ عِشْقَ المستَحِيل

١٩٨٦

السجود

ابتَسِم

واهتِفْ مِن الأعماقِ لِلعصرِ السعِيدِ

وارفَع جبِينَك للشُموسِ

واذْبح بِنيك تَقرُبا لِلآلِهة

آمون هذَا العصرِ أعطَاكَ المدى كي تَستَريح

فاستَرِح

وانْعم بأنْهارِ العسل

وارجم بنَاتِكِ بالفضِيحة

آمون هذَا العصرِ مبتَدأ العصور

فاسجد أمام الكَاهِن الأكْبر

لاتنْسَ ما قَد علموكَ:

كيفَ تَمدح

كيفَ تصطَنِع البلاهةَ

كيفَ تلْعن كُلَّ من جحد الإلٰه

وأنَا أوَارِي سوأِتي بينَ التَمزُّقِ والفِرَّارِ

وأضاجِع العجزَ المخبأ في القَصِيدةِ

واهِما أني أراكِ

في ثَنَايا الحلْمِ تَعبثُ بِالشُموسِ

....

....

....

....

وأراكَ تَهتِفُ للإلهِ

وأراكَ فِي كُل المدائنِ ساجِدا

أنتَ الحقِيقةُ

فاستَرِح

إنِي أموتُ...

١٩٨٧

وجه

ليلٌ ووجهٌ

فجرٌ ووجهٌ

عمرٌ ووجهٌ

سفَرٌ يبعثِر ما تبقى مِن سكُون

ثُمَّ وجهٌ

قمرٌ يرَاوِغُ نَبضةً

شِعرٌ وأغْنِيةٌ

ووجهٌ

للوَجهِ لونٌ الانْفِلاتِ إلى المدَى

طَعم البِدايات النَدِية

وانْطلاقُ الأحصِنَة

للوجه شَارَاتُ الولُوج إلى الأُفُق

واخْتلاجات الشَفَق

تستَبِيني يا أيها الوجهُ المزوُّقُ بالنَدَى والأمسِيات

وتُعِيدني بللورةً للبحِر

سنْبلة الموَاسِمِ

أغْنِية للعائِدِين

أشْتَاقُ يا وجه انْهمارك

بالعناقيد – الطُفُولةِ – والبْنَفسِج

وأراكِ يا وَجهَ اكْتِمال السوسنَة

أستَقِي مِنْكِ التأرجحَ فِي الجِهاتِ الأربعة

والتَشَبثَ بالمحال

أهمِس الآنَ

"خُذْنِي إليكَ يا وجه

كَي أُعايِنَ جنتّك"

١٩٨٨

حلْم

أمتلك الآنَ نَاصِيةَ الحلْم

فأرَى انِبثَاقَكِ فِي الزمنِ

احتِشَادكِ بِالأساطِيرِ الملوَنة

انهمارَكِ فِي الرؤى

واكْتِمالِكِ فِي الصوَر

أفْتَح الآن نافِذَةً للبحرِ

للمدَى المفْتُوحِ فِي عينَيكِ

للمدن البعِيدَة

هاأنْتِ

تتشَكِّلِينَ الآن فِي الأشْياءِ تَنَاغُما

واشْتِعالاً فِي الحنِين

تتفتَحِين تَفجرا

تتفَجرِين تَفتُحا

وتُلمِلِمِينَ تبعثُرِي فِي الكَون

تَمنحيني

أن أُعِيدَ لِلبحرِ زرقَتَه

للطُيورِ حنِينَها لِلدِفءِ

للوَردِ رَائِحةَ الحدائِق

للشِعرِ لَوعتَه

تَمنَحِينِي

أن أبدَأ الآنَ ارتِحالِي

وارتِحالَكَ فِي دمِي

أن أُغَنِي لِلمطَر

للحب فِي كُل الموانئ

فِي الليل

أبتَدِئُ القَصائِد والسفَر

وأعانِقُ الوجدَ المبعثَرَ بينَ قَلْبِيَ والفَضاء

أترقرَقُ خَيطًا مِن لَهفَة

أتوحد فِيكِ منْطَلِقًا مابينَ حنَانَكِ وجنُونِي

وأقُولُ: "أحبكِ"

١٩٨٩

رَكْضٌ خَلْفَ الصَهِيلِ..........

لا شيء لِي

لِلشِرَاع مضاجعةُ الرِيح
للغُربةِ منَادِيلُ الدَمع
للحوَائِطِ شَبابِيكُها
ولا شيءَ لِي

للأَحِبةِ أن يتهامسوا
خَلفَ مزَالِيجِ البِيوتِ
فِي الحدَائِقِ العامة
فِي الحافِلاتِ المسافِرةِ إلى شَواطِئ آخِرِ الأُسبوع
ولا شيءَ لِي

هلْ لَنَا أن نَتَساءلَ

عما تَهمِس الرِيح لورَقِ الشَجرِ

عن لَون الدموعِ التِي تترَقرَقُ فَي لحظَاتِ التَعانُقِ

عما يوَشْوشُ الموج للموجِ فِي الشُطْآن البعِيدَةِ

هلْ لنَا أن نُعانِقَ رعشَةَ القَنَادِيل فِي آخِر الليل

هلْ لنَا أن نُسافِرَ

كي نَرَى الفَجرَ يبزغُ مِن قِمةِ الوَجدِ

كي نُطَالِع نَجما وَحِيدا

ونَجمعَ لِلقَلبِ بعضَ الذِي يشْتَهي

هلْ لنَا أن نُجاهِرَ بِالمعصِية

نحلُم بمضاجعةِ امرأةٍ لا نَعرِفُها

فَوقَ أرصِفَةِ المحطاتِ

فَوقَ تُرَابِ الحقُول

فِي غُرَفِ الفنَادِقِ الرَخِيصة

أن نَطَأ بلادا لانَعرِفُها

فَلا تَكُون كُلُّ البارَاتِ مغْلَقَةً

كُل النَوافِذِ مغْلَقَةً

وكُل البِيوتِ ودورِ العِبادَةِ

يا أيها الحبُ

يا أيها الإله الذِي يتقدَس فِي الصمتِ

يتدثَر بِالموتِ

دعِني أطَالع وجهكَ المصبوغَ

بالنهارَات الصريحةِ والمساءاتِ الخفيةِ

اجتَبِيني

فأنَا أحمِلُ كُل شَارَاتِ النُبوَةِ

هلْ للورودِ ملامسةُ الندَى

ولا شيء لِي

١٩٩٠

شَالٌ

قَعِيدا كأنك الحزن

كأنك الانْزِوَاء

كأنكَ الموتُ المخبأُ فِي التَوابِيتِ القَدِيمة

يخَاصِمكَ الصهيلُ

فلا يجتَبِيكَ البحر

ولا تخُصكَ الرمالُ بِالمداعبةِ

تُحدقُ فِي مرَايا التماوجِ

فتُبصِر قاعَ المصِيبةِ

تُرَاقب الريح الذِي كُنتَه

فتَهوِي

تُحاور الصمتَ الذِي صِرتَه

فلا يرتَد صدى

....

....

....

(وكُنْتَ بين البرارِي إلها وحِيدا

وكان اتساع الحقُول خُطاَكَ

وكانَ اصطِخَاب الموجِ زفْرَتَك الموَلْولَةَ

وغضبتُك المطرَ)

عبوسا كالعاشِقِين ساعةَ الخِصامِ

يحاصِرك التَساؤلُ

تَطِنُ حولَك الهوام

ويدمِيك التَعب

ظَمِئٌ كأنَ النَار تُسكُن فِيِ ثَنَاياكَ الحطَب

....

....

....

(وكان النَهر يركُض فِي حوَافِركَ الندية

يسابِقُ المدَى

وكنتَ تَنْسِج مِن شُعاعِ الشَمسِ

أقْمارا وأودِيةً وزَهرا

تُشَكِلُ الزبد المرَاوِغَ جنةً

وتفتتح الموَاسِمَ)

....

....

....

لكَ أن تُغْمِضَ الآن اشتِعالَكَ

أن تبدِأ الآنَ استكانتَكَ الأخِيرَة

وتَحلُم بِالصهيل

١٩٩١

نُبوةٌ

رويدا رويدا

هاأنذا أتطهر مِن رجسِي القَدِيمِ

أتوضأُ مِن نُورِ عينَيكِ الوضاءتين

أقرأُ فاتِحةَ الفَرحِ

أمرَح فِي مروجِ روحِكِ الظَلِيلَة

أصلي صلاةَ البرَاءةِ

وأشهد

أنَ لِعينَيكِ حلاوةَ أن تتفَتَح فِي الصبحِ الرَائِقِ زَهرَةً

أن تترَاقصَ فِي الأُفْقِ أقْوَاسَ قُزَحِ

أن يصهلَ مهرٌ ويغردَ بلْبل

أن يمرَحَ طَير البحرِ الدري على الزبدِ الممتَدِ

أشهد .. أشهد

أحبكِ

هذي فَاتِحةُ القَول

وسرُّ التاريخِ على القلبِ الموصد

فكُونِي

بردا وسلاما

وامنَحِينِي

لهفَةَ المهرِ الحرون

إلى تضاريسِ المدى

وخُذِينِي

مِن صحرَاءِ التِيهِ

إلى جنةِ خُلْدِكِ

مِن بطْنِ الحوتِ

إلى دِفِئكِ

دَثريِني اشْتهاء ودودا

وزمِلي عمرَ المسافِرِ بِالمواقِيتِ النَدية

وشُدي قَمِيصي إليكِ.. قَد هِئْتُ

إليكِ كُل نَوامِيسِي وطُقُوسِي

أُهدِيكِ كُل تَرَاتِيل العِشْق

ألْوَان الشَفَق

شَمسا تُشرِقُ مِن شَرقِ الروحِ ولا تَغْرب

ليلاً يولِج فِي الوَجدِ

وعنَاقِيدَ

فهزي إليكِ بِنبَضِ القَلْبِ

يساقِطُ عليكِ حنَانِي طَريا

فقَري عينا

وأرِيِني وجه ا ِ

ضحوكًا ينْضح ِبالِبشْرِ

١٩٩٢

مكاشَفةٌ

صلاةٌ أُولى:

" لكَ المجد

أيها الألم النَبيلُ

فانْشُر ضِياءك فِي دمِي المسفُوح

وأنزلْ سكينَتَك الطَرية فَوقَ جرحِي

كي يبوح"

- ١ -

أحكِي لَكُم عن طُفُولَةِ الفُصول

عن لهوِها الصاخِبِ

وصمتِها الجمِيل

وكَيفَ أنها تَدخُلُ الموتِ ولا تَموتُ

تُمارِس لُعبةَ الولُوجِ والمفَارَقةِ

حتى يمل الموتُ وهِي لا تُملُّ

وكَيفَ تسكُن الوَهجَ

وتظلُّ تَرتَع فِي المواسِمِ

- ٢

أحكِي لكُم عن أوَل العِشْقِ

والعِشْقُ أولُه السفَر

فَي انحِدَارِ يفْضِي إلى نَجمةٍ

ووشِيش بحرٍ

وممالكِ مِن زبد

للعِشْقِ رَائِحةُ الصباحات الودودِ

تَنْساب فِي شُقُوقِ الروحِ

فَيورقُ البنَفْسج

- ٣

أحكِي لكُم عن طَائِرٍ أبيضَ

يحط كُل يومٍ فوقَ رَاحتِي

أُلْقِمه خُلاصةَ المسرَةِ

وبعضا مِن شَجن

يطِير فِي مَدَارَاتِ الرَحِيل

ويعودنِي

فتخِفٌّ عن الرَوحِ وَطْأةُ السكِينة

وجع أوَلٌ:

أحببتُ امرأةً مِن زبدِ

تسكُن قَلْعةَ الرمال

وكُنْتُ أجِيئُها

وهي تُمارس طَقْسها اليومِي

عاريةٌ إلا مِن وَمِيضٍ

تَستَحِم فِي الشَفَق

لكنِني – ذَاتَ يومٍ - رأيتُها

وهي تُضاجِع الرملَ

تبثُ للموجِ سِرَّها الدفِين

وتُيمِم شَطْرَ الشُطُوطِ البعِيدةِ

وجع أخِير:

جنةٌ

كُنْتُ قَد أوشَكْتُ ولُوج بابِها

وحالَ دونَه الجنُون

أعود والضباب يرَاود شَمسِي عن بزوغِها

أتُوقُ لجسدِ امرَأةٍ

ويقِينٍ

١٩٩٣

الرهان الأخِير

سأكْتُب

فَماذَا يستَحقُ الكِتَابةَ أكْثرَ

مكابِدةُ الوَجدِ أم السأمِ

الوقُوفُ على حد الترددِ

أم فَدَاحةُ الغِيابِ

وهلْ يتبقى فِي الفَضاءِ الذِي يضِيقُ

مِساحةٌ لِلبوحِ

ومِساحةٌ للاغْتِرَابِ

فأبقَى رغم دبيبِ الوهن

غَضوبا كأني جواد جموح

تستَفزه المهامِيز

تُعاكِسه الرياح

كطفل يعِيئُ كَونًا صموتًا

بصخَبِ الجنُون

أُسائِلُ هذَا السكُونَ

هلْ أنَا القَابِض على جمر اشْتِهَائِه

أم وارِثُ الريحِ

وماذَا ينَاسِب اللحظَةَ أكْثَرَ

رقةُ الشعر

أم ارتِطَام القَلبِ بِنَصل الحِقيقَةِ

قَطْع:

- منْذُ أُفُول النُجومِ

أُطَارد حلْما كذُوبا

بِعمرٍ مرَاوِغٍ

وجسدٍ يعانِد موتًا عنِيدا

بِشَبقٍ قَدِيمٍ

وروحٍ قَدِيمةٍ -

سأكْتُب

لأُطيرَ فِي وَجهِ الشَمسِ عصافِيرَ البهجةِ

وأُعابِثُ البحرَ المكَابِرَ

فلَدَيَ مِن النَزَقِ

مايكْفِي لاقْتِرَافِ البرَاءةِ

ومِن الوَجدِ ما يغْري باحتِرَافِ الفَرَح

فهلْ إذَا ما فَعلْتُ

سأصعد نَحوَ اكْتِمال المودَةِ

أنَادِم الموَاقِيتَ التِي خَبأتْنِي

أقْطِفُ للقَلْبِ وَرْدَةَ احتِمال السفَرِ

وأسكُب لِلروحِ خَمرَ انْتِشَائِي

فِي انْتِظَارِ الولُوجِ لسرِ السكِينَةِ

سأكْتُب

لقَد طَوَقنِي الحِصار

فهلْ تِسعةٌ وعِشْرون عاما

علمتني – فِيما تَعلمتُ –

حروفَ الهجاء

١٩٩٤

مُكَابَدَاتٌ....

مفْترقٌ

أهذِهِ نِهايتُنَا

أم بِدَايةُ السفَرِ الجدِيدِ

كُنَا متْعبين

فاتَكَأنَا كُلٌ على حلْمٍ قَرِيبٍ

وغَفُونَا لَم نُحدِد موعِدا

وانْتَبهنَا (هلْ انْتَبهنَا)

فسقَطْنَا فِي التَزَاحمِ

لَم يسألْ وَاحِد مِنا

عن وَجهِ صاحِبِهِ

وظننناه الخَلاصَ

مِن ربقَةِ الولَعِ القَدِيمِ

ومِزَاوِلَةِ الطُقُوسِ

رؤْيا:

" أرَى دمي بينَ عيني صاحِبي

يبكِي

فتَسمعه النُجومُ فِي المدَارَاتِ

والسنَابِلُ فِي الحقُول

لكِنه – صاحِبي – يمضِي

متشَاغِلاً بِالوَقْتِ

فيسقُطُ دمِي مِن وطْأةِ الحزن

وتَحمرُ المشَاهِد "

أهذِي محبتُنَا

دَم يسرِي علَى الطُرقَاتِ

يعنَاه

واكْتَسبنَا صكَ الولُوجِ لمرعى القَطِيعِ

١٩٩٤

قَبس مِن جنُونِكِ الجمِيل

إلى: "مصطَفَى الطَنَانِني"

كَادَ شِتَاء العامِ يمرُ بِلا بهجةٍ

لِكنكَ عدَتَ

لتُشْعِلَ فِي هشِيمِ خَيباتِنَا

بعضَ نَارِكَ

يصِير الظَلام بساتِينَ متوهجةً بِالفَرَح

وتسكُب فِي ذُبول قَنَادِيِلنَا

زَيتَكَ المقدَس

نَسِير وقَد مسنَا قَبس مِن جنُونِك الجمِيل

نَستَعِيد أَلقَنَا القَدِيمَ

فإذَا بِنَا – بِكَ – أطْهر مِما نَظُنُّ

وأصدَقُ مِما يظُنُّ الزَمان الكَذُوب

ماذَا أُسميكَ

صانِعَ آلِهةٍ

أم خَالقَ الوَهمِ الجمِيل

نَأتِيكَ لِنَضعَ بينَ يديكَ المعجِزَتين

تفَاصِيلَنَا الصغِيرَةَ

فإذَا بِكَ تَنْفُخُ فِيها مِن رَوحِكَ

تَصِير حياةً موشاةً بِالصخَبِ

مشْدوهِين كَأطْفَالٍ بلهاءَ

وأنتَ تُعمِلُ فِينَا فَجاءاتِكَ المستَحِيلَةَ

تُخْرِج مِن جِرَابِكَ المملُوءِ بِالسرِ

مرَايا مؤطَرَةً

حِكْمةً مصفاةً

تَرَاتِيلَ عِشْقٍ قَدِيمٍ

تَفْتَح سِردَابَ الروحِ

لتُعِيد إلينَا زَهوَةَ الحلْمِ المسافِرِ فِي الغِيابِ

فنَسِيحَ فِي رَحابةِ الكَون

نَصخَب بينَ النُجومِ

نَحفَظُ أهازيجَ الطَير

ونعود حامِلينَ فِي حجورِنَا

أقْمارا ساذِجةً

وعنَاقِيد حنَانٍ طري

فلا نَصِير مهمومِينَ

إلا بِأنكَ عائِدٌ إلى اغْتِرَابِنَا

ونَحن عائِدونَ إلى غُربِتِكَ

١٩٩٥

دوائِر

إلى: "أُسامة العبد"

١

وحِيدا فَوقَ صخْرَةٍ: الشُرفَةَ التِي تَمنَحكَ البحر

تُبصِر فِي التِماعِ الموجِ

وَجهَ البِنْتِ التِي أعطَتْكَ خُصلَةً مِن ضفِيرَتِها وذَهبتْ

- لَم يكُن شَعرها مستَرسِلاً -

لكِنَ رَائِحتَه وطَعمَ القُبلَةِ الأُولَىَ

منحاكَ سِرَ الرجولَةِ

فَصِرتَ

وصارَ قَلْبكَ : ذَاكَ المعاقُ فِي خَيمةِ الليل
نَجما ينْتَظر أن تَتِم دَورَةُ المدَى
متشَيِئًا بِمنْطِقِ البساطَةِ
أنَ الطَرِيقَ يحتَمِلُ النَقِيضين : ذِهابٌ ورجوعٌ
لَكِنَ دَورَةً لم تَكْتَمِلْ

٢

لِلماساةِ عنَاصِرها
وعِنْدَما تتم دَورَةُ التَجاذُبِ والتَنَافُر
تَمتَد
لِتَشْملَ كُل التَفَاصِيل
وتَحتَوِي الأُفقَ

٣

لَيسَ لِلبحرِ ابتِداء وانتِهاء

والرِيح لا تَعرِفُ السكُونَ

فَلِماذَا تَسأَلُ الأحزَانَ عن غَاياتِها

وتُحاذِر رَغْبَةَ الغِيابِ

لِلحلْمِ سطْوتُه

فَلاتُبحِر عمِيقًا فِي المدار

واستَبِق بعضا مِن طُفُولَةِ الموجِ

فِي انْتَظَارِ أن تَتِم دَورَةُ الفُصول

4

للمأساةِ كِيمياءها

ولِلدَوَائِرِ أن تُحدِدَ نُقْطَةَ انْغِلاقِها

....

....

فِي الوَقْتِ متسع

لاصطِيادِ القَصِيدَةِ

١٩٩٥

وقْتٌ غَير مناسِبٍ

كَانَ الشَاي معدًا فِي الأكْوَابِ

ليشْرَبه:

الأب الذِي يضطجِع فَوقَ كُرسِيهِ قَلِيلاً

وهوَ يفَكِر فِي تَدبِير مصارِيفِ الشَهر

والأم الِتي سوفَ تَشْرَع عما قَلِيلٍ

فِي تَطْبِيقِ الغَسِيل

والوَلَد الذِي ينْتَقِي مِن دولابِهِ قَمِيصا

يرتَدِيهِ وهو ذَاهِب لمقَابلَةِ حبِيبتِهِ

وَالبِنتُ الِتي تُفَكر فِي الإسرَاعِ بِغَسل أطْباقَ الغَدَاءِ

ليكُونَ هنَاك متسع مِن الوَقْتِ

كي تتَزينَ فِي استِقبْال خَطِيبِها

فجأة

ترِنُ فِي الصمتِ صرخَةٌ

وتَبدَأُ الجلبةُ

١٩٩٦

تَفَاصِيلٌ صغِيرةٌ

إلى: ن. ع.

١

كان المقْهى القَدِيم صاخِبا

ومعبقًا بِرَائِحةِ البن والسِنِينَ

والنَادِلُ يفْرِشُ ابتساماتِهِ السمرَاءِ

فَوقَ الموَائِدِ

سعِيدا كعصفُورٍ عجوزٍ

هلْ كُنْتُ أتْلُو علَيكِ قَصِيدَةً عن حبيبةٍ خَانَتْ

عِنْدَما انْحدرتْ دمعةٌ عن الهدبِ الجمِيل

أم أنها كانَتْ

مَرَاسِمَ استِقْبال "أُحبكِ" الأُولى

٢

لحِبيبِتي بسمةٌ ماكِرَةٌ وخَجولُ

حِينَ تَضبِطُنِي

أُحدقُ فِي استِدَارَةِ الصدرِ خَلْفَ الثَوبِ

متظَاهِرا بِحِيلَةٍ – أُدرك سذَاجتَها –

أنِني أُفكِر فِي تَرتِيبِ الموعِدِ القَادِمِ

٣

الصمتُ ما بينَنَا كأنه صلاةٌ

كأنه وَشْوَشَةُ الموجِ فِي بحرٍ بعِيدٍ

الصمتُ ما بينَنَا بيتٌ

وطِفْلٌ يتهدهد فِي حضنِ الروحِ وَيغْفُو

الصمتُ ما بينَنَا : حياةٌ

٤

يعصِفُ بِي الشَوقُ

ونَحن نَسِير متشَابِكَين فِي الزِحام

نَتبادَلُ الحِكَاياتِ الصغِيرَةَ

أقُولُ هامسا : أُحِبكِ

بينَما كَفها الصغِيرةُ تَضغَطُ فَوقَ ساعِدِي

ويندّاح الحنَان

١٩٩٦

قَصَائِدُ لِلحَنَانِ

غِياب

لَيستْ أُغْنِيةً لِلبحرِ

لكِنه البحر يغَني فِي دَمي

يتَصاعد البحر نَشِيدا فِي الغِيابِ

والغَائِبونَ كأنهم

رِيح تُسافِر عبرَ موجِ القَلْبِ

تَسكُن فِي المرَايا

والبحر يعبر كُل يومٍ ضفةً لِيعود

متَوَسدا أسماءَهم

ومعبقًا بِرَحِيلِهم

ومحاذِرا أن يستَفِيقَ الوَرد قَبلَ الإيابِ

بِدايةٌ

لَم تَكُن النِهاياتُ فِيما مضى سعِيدَةً

لكِنه ظَل يغَنِي

وظَل يكْتُب فِي كُل مرَةٍ قَصِيدَةً

وعِنْدَما فَاجأتْه دَفْقَةُ الحنَان

فباستْ بينَ عينَيهِ

ومسدَتْ شَعرَه

لَم تَكُن سماء الحلْمِ عالِيةً كَعادتِها

ولا نُجومه بعِيدَةً

نُور *

فَرَاشَةٌ بِلَونِ الفُل تَرقُص فَوقَ قَلْبِي

فيصِير زَهرَةً بِلَونِ الحنَان

تَمِيلُ بِها رِيح مِن نَشْوةِ الوِدَادِ

تَضحك لِي عِيونُها الصغِيرَةُ

فكَأنَ كُل شُموسِ الكَون أشْرَقَتْ فِي الرَوحِ

وكَأنِني لَم أعِشْ

إلا لألْثُمَ نُورَها

وأُسمي باسمها كل القَصائِدِ

* نُور هي ابنَةُ الصدِيق إسلام عبدِ المعطِي

١٩٩٦

الوردةُ

البِنْتُ حِينَ التَفتَتْ

كي تَرَى وَجه الذِي يعاكَسها

كانَتْ تُفَكر فِي الغُيومِ

وتُدرك أنها سوفَ تُمطِر عما قَلِيل

ربما قَبلَ أن يحِينَ موعِد حبِيبِها

وربما يمنَعها المطَر

أن تَشْتَرِيَ الوَرِدَةَ

الوَرِدَةُ التِي خَايلَتْها طَويلاً

والتِي انْتَوتْ أخِيرا

أن تُفَاجِئَه بِها

كي تُصالِحه بعدَ الخِصامِ الطَويل

البِنْتُ حِينَ استَدَارَتْ فِي الشَارِعِ الجانِبِي

لَم تَكُن قَد أمطَرَتْ بعد

لكِنَ عينَيها أمطَرَتَا دموعَ الحنَانِ

بينَما الوَردَةُ وادِعة

فِي كفها الجمِيل

١٩٩٧

سفَر

أُدرِك أن الوقْتَ يمر

وأنَ عليَ اجتِيازَ البحرِ

مِن ضفةِ الموتِ إلى ضفةٍ واعدتْنِي بِالمسرةِ

وعليَ اصطِحاب الشَمسِ

مِن أوَل الكَون لآخِرِ النَشْوةِ

أتهيأُ لقَصِيدَةٍ سوفَ تَكْتُبنِي

وفَجرٍ ينَورنِي

وعمرٍ يعِيد إليَ وجوها أَمعنَتْ فِي الغِيابِ

لَيس لي ما لِلنَخِيل مِن سماء

لكِنني أصعد

سابِحا فِي رحابةِ الحلْمِ

أرَى جنةً تَلُوح فِي البعِيدِ

والأرض كأنها خَيلٌ تُعابِثُ الرياحَ

الوَقْتُ يمرُ

وعليَ أن أُغَافِلَ الفُصولَ

لأقْطِفَ زَهرَةَ المستَحِيل

١٩٩٧

مراوغةٌ

هذَا المتفَتِتُ كشَظَايا زجاجٍ مسرَطَن

المتدَافِع كالزَبدِ ورَاءَ الزَبدِ

الصامِتُ كمِرفَأٍ منْسى

الصاخِب كَبحرٍ مأُول

المتوَهِج كوَردةٍ قَانيةٍ

البرِيء كَسنْبلَةٍ

المتبدَلُ كَضِحكَةِ الفُصول

المنْتَشِي كَالصهيل

الوَاهِن

الفَاتِن

المستَحِيل

هذَا الذِي يسكُنُني

يوقِظُنِي فِي صمتِ الليل

نتبادَلُ تَبغًا وحِكاياتٍ

نَتهامس كفتَاتَين مرَاهِقَتين

نَتباوَح بالأسرَار

هذَا المتحولُ

ككَائِنٍ خُرَافِي جمِيلٍ

متسربِلٌ بِالنَدَى

ومتَوج بِالحقُول

تَغْمرنِي سكِينَتُه الباذِخةُ

يتْركُنِي مشْتَعِلاً كَالحنِين

أتصيد قَمرا يرَاوِغُنِي

يغِيب .. يغِيب

ثُمَ يبِين

١٩٩٩

بتُولٌ

لِبتُولِ

نَجمةُ الفَجرِ الوَلِيدِ قِلادَةٌ

تَزدَانُ بِالصدرِ الجمِيل

لبتُولِ

مهرَةٌ بيضاء تَمرَح فِي المطَر

وتُشاكِس الريحَ العبوسَ

بحر تَخْتَالُ فِي أموَاجِهِ

سفُن الزَبرجدِ والحرير

أَلَقٌ مِن الشَمسِ الحنُون

يرتَاح فِي عسل العيون

لها البلابِلُ

والسنَابِلُ

والنَخِيلُ

لها الصهيلُ

لها الفُصولُ

لبتُولِ

٢٠٠١

درةٌ

إلى الشَهيدِ محمدٍ الدرَة

هلْ كان "محمد" يعرفُ
أنه يحتَمِي مِن الموتِ الذِي
يعبِئُ الهوَاء حولَه
بِجِدَارِ مذْبحةٍ جدِيدةٍ قَدِيمةٍ
وأن حضن أبِيهِ
لَيسَ أَكْثَرَ مِن كَفَنٍ حنُون

هلْ رَأى "محمد" وَجه قَاتِلِهِ
لَحظَةَ الشَهادَةِ
لِيدرك أنَ الرَصاص الذِي يترَاشَقُ

أفْزَعتْه البرَاءَةُ

هلْ كان "محمد" يحلُم

وهوَ فِي مهرَجانِ الرصاصِ

أنه عما قَلِيلِ

سوفَ يفْلِتُ بِبرَاءَتِهِ

رَاكِضا نَحوَ سرير الحلْمِ

يستَعجِلُ الصبحَ

كَي يحكِي لأصحابِهِ فِي حِصةِ الألْعابِ

- ضاحِكًا - عن موتِهِ

ضاحِكًا مِن موتِهِ

ومِن غَباءِ قَاتِلِهِ

وأنه غدا سوفَ يكْبر

لِيعلمَ أبنَاءَه أبجدِيةً جدِيدَةً

لِوَطَنٍ فِي دَورَةِ القَنَابِل والسِياسةِ

لَم يذُب

لَكِنه فِي كُل مرَةٍ كَانَ يبزغُ

كَشَمسِ الذَهبِ

ينَبِئهم أنَ حقُولَ الموتِ قَد أثْمرَتْ

حبا وزَيتُونًا ونَخْلاَ

وشَارَاتِ انْتِصارٍ

هلْ كَانَ "محمد" يعرِفُ

أنه سيعِيد إليَ الشِعرِ

بعدَ أن ضيعتْنِي الأكَاذِيب

ومسخَتْنِي البلاهةُ

فَأُفِيقُ على صفْحةِ المدَى

مصبوغَةً بِالدَم

فواحةً بِالأرِيجِ

لكِنه الشِعر مهما يكُن

لَيسَ أبلَغَ مِن شَهادَتِهِ

لَيسَ أَحلَى

مِن مذَاقِ الوَطَنِ

٢٠٠٠

نَشْرةُ أخْبارٍ

هلْ كانَ الدَم علَى الشَاشَةِ أَحمر

والأم الملتَاعةُ

تَجلِس فَوقَ ركامِ البيتِ المتهدمِ

تَترَنَم

لِينَامَ الطِفْلُ اللاهِي

عن صبحِ المدرَسةِ الأوَل

أم كان الدمُ علَى الشَاشَةِ

شَجَرا ونَخِيلاً

تَنْعم فِي حضن طرَاوتِهِ الأمُ

وَادِعةً

كملاكٍ فِي ظِل الرَب

٢٠٠٠

رغْبةٌ

كَانَ قَمِيص النَومِ علَى الجسدِ العارِي

يصنَع مايشْيِه بركَانًا

يتفجر بِالْرَغْبةِ

والوَلَد المخْتَلِس النَظْرَةِ

- فِي شُرفَتِهِ -

يتصاعد كَالْشَهقَةِ

٢٠٠١

ذِكْرى

الْفَتَاةُ الِتي

فِي السنَوَاتِ البعِيدَةِ -

أَشْعلَتْ جسد الفَتَى الذِي كُنْتُه

وأَطْلَقَتْ فَرَاشَةَ الروحِ فِي المدَى

صارَتْ الآنَ سيدَةً فِي الأربعِينَ

وصار لها فَتَاتَانَ تُشْبِهان صورَتَها

فِي الزَمان القَدِيمِ

ولَم يعد بينَنَا

سوَى إيماءَةٍ صغِيرَةٍ عِنْدَ صدفَةَ اللقَاءِ

وربما سؤَالٌ عابِر عن الأحوَال

لكِنْني

حِينَ أمرُ فِي طَرِيقِي بِبيتِها القَدِيمِ

فَأَلْمح ظُلْمةَ المدخَل الوَاسِعِ

تَعتَرِينِي رَجفَةٌ

أَستَعِيد ذَاكِرَةَ الرَحِيقِ

وتَمتَد يدِي لِشَعرِي الذِي

مسَدَتْه طَوِيلاً

٢٠٠١

حدثٌ يوميٌ

كُل لَيلَةٍ

حِين آوِي إلى غُرفَتِي

فِي آخِرِ المساءِ

يجِيئُونَ

بِملامِحٍ غَائِمةٍ خَلْفِ ضبابِ السِنين

صاخِبِينَ يملأُونَ فَرَاغَ الغُرفَةِ

يتبادلُونَ الحِكَاياتِ دونَ اهتِمامٍ

بينَما يأكُلُونَ فَاكِهتَهم المستَحِيلَةَ

وفِي لَحظَةِ الصمتِ المرَاوِغِ

يتطَلعونَ إلى دَهشَتِي

ويعاوِدونَ الضحِكَ

وعِنْدَما يمر الوَقِتُ

ويغلْبِني النُعاس

أشْعر بِهم

وقَد تَملكُهم الوَجد

وأجهشُوا بالنَشِيجِ

كُلُّ لَيلَةٍ

حِينَ آوِي إلى غُرفَتِي يجِيئُونَ

بِملامِحَ غَائِمةٍ خَلْفَ السِنِينَ

فِلماذَا إذَن تَأخَروا اللَيلَةَ

٢٠٠١

موعِد

لَم يكُن أحد هنَاكَ

لكِنَنِي كلمتُهم

كانُوا مِثْلَ خَيلٍ تترَاكَض عبرَ وَقْتِي

كَشُعاعٍ يتصاعد نَحوَ أزمِنَةٍ حمِيمةٍ

لَهم وجوه مِثْلَ شَقْشَقَةِ الصباحِ

وعيون رَائِقَةٌ تَحزِنِي

بيِني وبينَهم

فَضاء مِن مسراتٍ قَدِيمةٍ

وكُنْتُ أقْرَأُ فِي ملامِحِهم وجد الرَحِيل

وأسافِر فِي بريقِ صفَاءِهِم

أَجتَاز صحرَاء الغِيابِ

لَم يكُن أحد هنَاكَ

لَكِنهم كَانُوا

يتماوَجونَ فَوقَ صفْحةِ المدَى

ويلُوحونَ بِالسحبِ منَادِيلَ وَدَاعٍ

وَاعدونِي

أن نَلْتَقِي فِي مساءٍ

لنَشْرَبَ شَايَ أحلامِنَا المستَحِيلَةِ

ونُهدهِد رَوعاتِنَا قَلِيلاً

إلى أن يجيءَ قِطَار الوَقْتِ

نِمضِي فِيهِ

دونَ حقَائِبِ سفَرٍ

ودونَ نَشِيجٍ

٢٠٠٢